أنور بهنسى محمد شاهين

مفهوم الصداقة عند سينيكا

الصداقة شعور جميل وتدفق عاطفي رائع لا يختلف إحساسه باختلاف الأزمنة إلا من حيث الشكل والميول الشخصية والدوافع الاجتماعية. وقد يتبادر إلي الذهن استفهام ما عن ماهية الصداقة قديما، وأى تصور قد ملأ مخيلة الفيلسوف الرومانى سينيكا عن الصداقة، وما هى حدودها وأشكالها وما يجب أن يتوافر فيها، وماذا تجلب للإنسان من منافع ومميزات، وما مدى العلاقة التى تربط سينيكا بمن حوله. هذه هى التساؤلات التى نحاول الإجابة عليها فى هذه الورقة.

وبديهيا أن تطل علينا أيضا التساؤلات التالية: ما هى الصلات التى تربط مفهوم سينيكا عن الصداقة مع النظرية الشيشرونية،[١] ومع الفلسفة الإبيقورية،[٢] وأيضا مع ما تبناه المذهب الرواقى،[١] ومع الفيلسوف اليوناني ثيوفراستوس.[٢]

---

(١) قد تبنى شيشرون نظرية قوية عن الصداقة ، وأفرد لها عملا كاملا "عن الصداقة" ومن أقواله فى الصداقة قوله: "الصداقة تعنى لا شئ أخر غير التوافق الكامل فى الأمور الإلهية والبشرية متحدة معا بشعور الخير والتعاطف ..... لكن الفضيلة تُولد وتحفظ الصداقة، ولا توجد صداقة بدون فضيلة ..... " (شيشرون، عن الصداقة .de amcitia 20). فقد جاء مفهوم الصداقة عند شيشرون ومن بعده سينيكا تطويرا للفكر اليونانى فى هذا المضمار، فالصداقة عندهم عبارة عن تناغم أشياء مقدسة، وأخرى دنيوية تتحد فى إرادة الحب والخير، ومن ثم تؤكد النظرية الشيشرونية أن الحب والخير هما جزأ مكمل للصداقة.

(٢) الإبيقورية مدرسة فلسفية إغريقية نسبة إلى الفيلسوف اليونانى ابيقور (٣٤٢.٢٧٠ ق.م.)، والإبيقورية مذهب فلسفى يقوم على طلب المتع العقلية واللذة الروحية حيث لا سبيل للخلاص من الآلام إلا بالسكينة والطمأنينة، والطريق إليها لا يتأتى إلا بالانصراف نحو التفكير والتأمل من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة، وكثر الجدل حول ابيقور ومذهبه وقيل انه رجل الهوى والشهوات، وكثير من الفلاسفة ينزهونه عن ذلك ويفسرون مذهبه بأنه يقوم على التجريب والحسية وضبط النفس والإعلاء من قيم الإنسان، راجع:

Paratore, E., L'epicureismo e la sua diffusione nel mondo latino, Roma, (1960).=
= Idem., La problematica sull'epicureismo a Roma, in "Romanae Litterae", (1976) pp. 289-376.

ونلمس هذا المفهوم الظاهر للصداقة بوضوح شديد وطريقة عرض مباشرة وبسيطة من خلال خطابات سينيكا إلي لوكيليوس، حيث تتجسد بشكل جوهرى متماسك وموحد صورة الصداقة التى ربطت بين سينيكا ولوكليليوس فى إطار من التعبير القوى عن مكامن النفس البشرية وبحس إنسانى راقى.

وقد حظيت كل هذه التعبيرات والموضوعات المتصلة بالصداقة بدراسات عديدة ومتنوعة،[٣] لكن فى هذه الورقة لا نريد أن نكرر ما ذكر وما قيل تفصيلا فى هذه الدراسات، ولا يجب أن نسير فى نفس الدرب، بل علينا أن نتجه إلى حقيقة يمكن التأكيد عليها فى إطار مضمونها العام، ألا وهى أن نضع في المقام الأول الصداقة وكونها تجربة حياتية عاشها سينيكا الفيلسوف، مع الاحتفاظ بنظرية سينيكا ومفهومه الشامل عن الصداقة.

---

(١) الفلسفة الرواقية هى مدرسة فلسفية أسسها زينون ٢٠٠ ق.م. ثم هذبها أتباعه وتنادى بان الحقيقة مادية تسودها قوة توجهها هى الإله. وما دامت الطبيعة تسير وفق العقل فمن الحكمة أن يسير الإنسان وفق الطبيعة منصرفا عن ميل العواطف والأفكار التى تحيد عن جادة القانون الطبيعى وحرية الإنسان مرهونة بأدائه لواجبه فى اقتفاء الطبيعة وقوانينها. وهى فلسفة عملية متسامية تؤمن بوحدة الوجود كما تؤمن بعالمية المواطن بعد أن وحدت كافة عناصر الفكر اليونانى وشكلت نظاما أخلاقيا ترتضيه الفئات المتمردة على العقائد القديمة المتوارثة. وكان زينون يعلم أتباعه فى رواق فنسبت إليه الرواقية. وتتبنى هذه الفلسفة على التسليم بحقيقة وصدق الاحساسات التى أثبتتها الفلسفة الارسطية أو بعبارة أخرى تسلم بان الإنسان يتلقى وعيه بذاته أولا وقبل كل شئ، مما يجوز معه القول بان الرواقية شأنها شأن الإبيقورية قد نبعت من العالم الجديد الذى خلفه الاسكندر الأكبر ومن الشعور المتولد عن ادارك الإنسان بأنه ليس مجرد عنصر خامل في إطار المدينة وإنما هو شخصية منفردة بزاتها محتاج إلى استنباط قواعد جديدة لسلوكه من اجل بلوغ السعادة التى حرصت الرواقية فى سبيلها على التمسك بالكمال. راجع:
Pohlenz M., La Stoa di un movimento spirituale, trad. It., La Nuova Italia, Firenze 1967.

(٢) ثيوفراستوس هو فليسوف يونانى وتلميذ أرسطو، عاش تقريبا ما بين (٣٧٢–٢٨٧ ق.م.)، وقد ألف في علم الطبيعة والنبات والمنطق والسياسة، وغيرها من العلوم، كان خلفا لأرسطو في ريادة المدرسة، لم يبقى من أعماله إلا القليل، وأشهر كتبه كتاب "تاريخ النباتات" الذى صنف فيه النباتات حسب أشكالها وطرائق نموها. وكان له مفهوم خاص عن الصداقة يتفق مع مبادئ معلمه أرسطو الذى قسم الصداقة إلى ثلاثة أنواع:
١. صداقة منفعة. ٢ . صداقة متعة. ٣ . صداقة طيبة.

(٣) أنظر على سبيل المثال لا الحصر قائمة المراجع المتصلة بهذه الورقة.

على أية حال، يمكنا أن نتجه نحو دراسة معطيات الأحداث من أجل إيجاد تفسير ما أو رد فعل ما قد أصدره سينيكا عن الصداقة، لذلك نولى الاهتمام علي التو بالتركيز على العمل الذى تعرض سينيكا خلاله لهذا الموضوع:[١] "فى السكينة الروحية"،[٢] وأيضا يشغل موضوع الصداقة مجال واسع فى الكتابات التى كتبها الفيلسوف بعد خلوده إلى الحياة الخاصة وانسحابه من الحياة العامة، بدأ من عمله عن أعمال الخير (De beneficis)، ثم يكثف هذه الكتابات بشكل أكثر اتساعا و انتشارا في الرسائل التي كتبها إلى صديقه لوكيليوس، والتى يلاحظ أن ست رسائل من بينها مخصصة بشكل خاص ومحدد لموضوع الصداقة، وهذه الرسائل هى: (٣، ٦، [٣]٩، ٣٥، ٤٩، ٦٣).

وقد كتب سينيكا كتابات أخرى عن الموضوع ذاته خلال السنوات التى انسحب فيها من الحياة العامة، وكانت كتابات جادة. ويمكنا أيضا القول أن هذه الكتابات جاءت فى الأيام الأخيرة من حياته – المعروف أن سينيكا أُجبر من قبل نيرون على إنهاء حياته بنفسه فى شهر إبريل عام ٦٥م.[٤]
– وهذه الأعمال أيضا مخصصة كرسائل إلي لوكيليوس: عن "العناية الإلهية" (De providentia)، وعن "طبيعة الأشياء" (Le Naturales Quaestiones)

(١) مع ملاحظة الإشارة إلي هذا الموضوع فى عمل سينيكا عن الغضب (De ira 2. 34,2) حيث يذكر الفيلسوف الأمور التى تهدف إلى التحول من الاستسلام إلي الغضب، والتى من بينها اعتبار التخلى عن الغضب وهجره أمر من الأمور التى تجعلنا نتخذ الرحمة سبيلا فى مواجهة الخصم، ففى حالات كثيرة ينتج عن التسامح أصدقاء كثرين ومفيدين فى نفس الوقت. ويذكر أيضا فى عمله عن الحياة الخاصة (De brevitate vitae 14. 2-5; 15. 1-4) حيث يدعو سينيكا فى هذا العمل ذلك الشخص المخاطب المدعو "باولينوس" أن يقوى الصلة العائلية – إذا صح التعبير . مع فلاسفة العصور الماضية، وأن يختار من بينهم من هو تقريبا ينزل عنده منزلة الأب، وبهذا سوف يحقق علاقة قوية قائمة على صداقة كاملة.

(٢) (De tranquillitate animi) يمكن ترجمتها هكذا: "راحة البال" أو "الهدوء النفسى".

(٣) عن الرسالة التاسعة أنظر هذه الدراسة الجادة:
Lana I., Analisi delle “lettere a Lucilio” di Seneca, Torino, (1988). pp. 193-199.

(4) Tremoli P., L’ultimo rapporto fra Seneca e Nerone, Udine, 1973, p. 65.

وهناك احتمال أن سينيكا كتب أيضا كتابات أخرى خلال تلك الفترة التى خلد فيها إلى الحياة الخاصة، وقد خصصها أيضا إلى لوكيليوس، وقد وصلت إلينا فى صورة شذارات، ويمكنا أن نقتبس منها هذه العبارة:(١)

Quomodo amicizia continenza sit.

"ما الفعل لجعل الصداقة قوية."

وهذه العبارة تبين بجلاء اهتمام الفيلسوف بالسبل التى تؤدى بمن يسلكها إلى الوصول إلى صداقة مثالية، وتبين أيضا الرغبة العارمة عند سينيكا في إيجاد أصدقاء، خاصة بعد اعتزاله للحياة السياسية الصاخبة، واهتمامه بترسيخ مبادئ قوية للصداقة فى إطار من الفلسفة الأخلاقية.

وهناك أيضا العمل المسمى "كتب أخلاق الفلاسفة" (Libri moralis philosophiae)، والتى تشير إلى الشهور الستة الأخيرة من حياة الفيلسوف، وكتابات أخرى تناولت موضوع الاختيار الحر.(٢)

إذن، من خلال أعمال سينيكا التى ذكرت أعلاه نستطيع القول أن الفيلسوف قد أعطى اهتماما خاص فى أعماله من أجل التفكير والتمعن فى موضوع الصداقة، وقد ظهر هذا الاهتمام بوضوح مع بداية الأعوام التى هجر فيها سينيكا الحياة العامة بصخبها ولجوؤه إلى حياة خاصة بعيدة عن المشاغل السياسية.(٣)

وبناء على هذه المعطيات نستطيع أن نقول إن تفكر وتمعن سينيكا الفيلسوف فى موضوع الصداقة، كشكل من أشكال الترابط بين الأشخاص يتوافق تاريخيا ومنطقيا مع توجهه نحو اختيار

---

(١) راجع هذه الشذارات، وهى متاحة الآن فى طبعة فاخرة مع مقدمة وتعليق وترجمة:

Lucio Anneo Seneca, Frammenti, a cura di Volttero D., Università di Torino pubblicazione del Dip. Di Filologia linguistica e tradizione classica, 10, Patron ed., Bologna (1998), p. 321.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأعمال والتعليق عليها، أنظر المرجع السابق.

(٣) عن تلك التحولات فى حياة الفيلسوف ومعارفه وخبراته أنظر هذه الدراسة الجادة التى تتعرض لموضوع خبرات سينيكا الحياتية وعلاقته بالشباب:

Guerra Monica, Seneca e i giovani, Venosa, (1997), pp. 41-53.

الحياة التأملية. فعندما فقد سينيكا وضعه كمربى ومستشار للأباطرة، ولم يعد له مكانه في البلاط، كان حتميا أن يتجه نحو البحث عن علاقات قوية صلدة وموثقة جدا من خلال الصلات الخاصة المبررة التى لا يعلوها الشك ولا تخيم عليها أشباح الخوف، إذن هو يريد علاقات طبيعية جيدة وقوية. وبما أن الصلة القوية التى كانت قائمة مع نيرون باعتبار أن سينيكا كان مستشارا للإمبراطور قد باءت بالفشل، لذلك بحث الفيلسوف عن سبل جديدة لاستبدال هذه الصلة، وأعتقد سينيكا أنه لن يتأتى هذا إلا من خلال عمل إصلاحى إرشادى يتوجه به نحو التلميذ الصديق، وهذا التلميذ الصديق كان لوكيليوس.(١)

خلاصة القول أن عمل سينيكا عن "السكينة الروحية" كان بمثابة حلقة الوصل بين الكتابات التي كتبها سينيكا خلال حياته العامة والكتابات التى كتبها خلال حياته الخاصة، وقد ضمنه الفيلسوف أرائه في الصداقة، ووضع خلاله جُل اهتمامه و تفكيره فى استجلاء صورة واضحة المعالم لمفهوم الصداقة، وقد خصصه إلي صديقه "أننيوس سيرينوس" الذى كان بالنسبة للفيلسوف بمثابة الصديق والتلميذ فى نفس الوقت.(٢)

وإذا ما ضربنا مثل بحياتنا اليومية وما يمر خلالها من أعمال، وما نقوم به من تحليل للأشياء قد تبعث على الضجر والملل من الحياة ومن كل شئ حولنا، فإن سينيكا الفيلسوف بين لنا فى عمله عن "السكينة الروحية" علاجات وضعها من أجل الهروب من الملل taedium، وأن نركن إلى المكان الملائم الذى نحدده، وهذا المسلك مقتبس من أتينودوروس الرواقى.(٣)

---

(١) لمزيد من المعرفة عن سمات عصر سينيكا وما اعتراه من صعوبات وأحداث، وعلاقته كفيلسوف بالسلطة وممارساته السياسية أنظر:

Impara P., Seneca: filosofia e potere, Roma, (1994).
Parroni, P., Seneca e il suo tempo, Roma, Salerno Editrice, (2000).

(٢) لتحديد هوية المرسل إليه الممثلة في شخصية "سيرينوس" راجع:
D'Agostino V., Seneca e il tranquillitate animi, "Athenaeum" 17, (1929), p. 52.

(٣) أتينودوروس الكانانيتس (Athenodorus Cananites) (٧٤ ق.م. إلى ٧ م.) تلميذ بوزيدونيوس الرواقى، ولد في "كانانا" بالقرب من "تارسوس"، قدم إلى روما فى عام ٤٤ ق.م. وكان من أتباع العقيدة الرواقية التى اعتنق سينيكا

وعندما يتعرض سينيكا إلى مسألة معاناته والصعوبات التى يتلقاها وبسببها ينصرف عن الانشغال بالسياسة، فى هذا المقام يأتى تبرير سينيكا مسترشدا بالفيلسوف الرواقى "أتينودوروس" ناصحا بإخلاص، بل ويدفع بشدة نحو الاعتكاف على الدراسات متوجها فى دعوته هذه إلى صديقه وتلميذه "سيرينوس"، ويدعوه إلى قبول الدعوة لأن ذلك سيجنبه سأم العيش، ويقوى مقدرته علي التحمل، ويجعله مفيد للآخرين، والأهم هو أن يأتى إليه الأصدقاء المفضلين:

multos in amicitiam attrahes affluetque ad te optimus quisque.
"إنك ستجذب كثيرين إلى صداقتك، ويلوذ بك جميع الأفاضل."(١)

على أية حال، الصداقة التى أراد الفيلسوف تأصيلها هى تلك الصداقة التى تنمو فى جو من المشاركة، وخاصة المشاركة فى الدراسات والأعمال الفكرية، ومن ثم فالثقافية عبارة عن مناسبة مواتية جدا من أجل ميلاد روابط اجتماعية تتوالد من الصداقة.(٢) ويبدو جليا أن الفيلسوف أراد إبراز القيمة الذاتية لإعمال العقل فى التفكير والتمعن، ولهذا يعطى أهمية كبرى لتحليل الحالة النفسية لسيرينوس مستخدما فى تحليله طريقة غاية فى الشفافية، هكذا أيضا الحالة النفسية لسينيكا نفسه.

التصور الذى طرحه سينيكا عند تحليله لحالة صديقه المخلص "أننيوس سيرينوس"(٣) يبين الحالة النفسية السيئة شديدة القنوط التى كان عليها "سيرينوس"، وكأنه يبدو كما لو كان مريضا، رغم أنه لم يكن كذلك، لكن حالته ليست على ما يرام، فقد سيطر عليه الشك فى اختياراته وكأنه أخطأ عندما

أفكارها، وقد أثرت كثيرا فى مفاهيمه عن الصداقة وغيرها من الموضوعات الفلسفية، وقد جاء ذكر أتينودوروس فى عمل سينيكا عن "السكينة الروحية". أنظر:

Lana I., Lucio Anneo Seneca, Torino. (1955), p. 247.

(1) Seneca, De tranquillitate animi, 3, 6.

(٢) لمزيد من الإيضاح حول العلاقة التى تربط سينيكا بالثقافة أنظر هذا المرجع:
Setaioli A., Seneca e la cultura, Napoli, (1991).

(٣) عن علاقة سينيكا بصديقه أنيوس سيرينوس أنظر:
Lana I., Seneca e i giovani, cit., pp. 200-202.

أختار حياة الفضيلة، لكنه على كل الأحوال لم ولن يتخلى عنها، يعجبه الاعتدال والتقشف، ويشده أيضا الترف ويخلب لبه، ومع ذلك فضيلته لا تنقص، لكن تعاسته تتزايد.(١)

الحقيقة أن سينيكا عندما يصف حالة القنوط واليأس التى عليها صديقه، وكأنما يصف حالة القنوط واليأس عنده هو: sibi displicere، وقد وجد نفسه فى موقف ما صعب فى قلب الفساد المتفشى.

إذن، النفس قانطة فى الليل ومنكسرة، وظلمة الليل أثقلت روح سيرينوس وأظلمتها، وهكذا أيضا روح سينيكا غاصت فى الظلمات، فما العلاج؟ فلنرى ما هى الأدوية التى يصفها سينيكا الفيلسوف المعالج لصديقه "سيرينوس"، عندما يعجز عن الانشغال بالحياة العامة:

> Sed faciendum erit, si in rei publicae tempus minus tractabile incideris, ut plus otio ac litteris uindices, nec aliter quam in periculosa nauigatione subinde portum petas, nec exspectes donec res te dimittant, sed ab illis te ipse diiungas.
>
> "لكن إذا هزمت قهرا من الحياة السياسية فى فترة ما أقل يسرا، فسينبغى عليك أن تخصص وقت أكثر فى (حياة) الانزواء (الفراغ) للدراسات الأدبية، ولتتوجه فورا نحو الميناء ليس عكس التيار في إبحار خطر، لا للانتظار ربما التوقف يبعدك، لا لفعل ذلك الذى يفصلك عن نفسك (إرادتك)."(٢)

الحياة الخاصة التى طرأت على سينيكا بعد أن كان منخرطا كلية فى الحياة العامة، جعلت الفيلسوف يولى أهمية كبرى للصداقة، فأخذ يفكر ويتمعن فى معانيها، ويقدم النصائح التى تذكيها، حتى أنه كتب مديح فى الصداقة المخلصة،(٣) لأنها شغلت جل اهتماماته خلال تلك الفترة الزمنية من حياته:

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن منهج سينيكا كطبيب للروح أو فيلسوف، أنظر:

Lotto G., Lucio Anneo Seneca. La tranquillità dell'animo, introduzione di G. L., traduzione e note di Lazzarini C., Milano, (1997).

(2) Seneca, De tranquillitate animi, 5, 5.

(٣) أنظر هذه الورقة الهامة التى تتناول أقوال سينيكا المأثورة عن الصداقة:

Clark J.R., Motto A. L., "Seneca a amicizia", Atene e Roma 38, (1993), 91-98.

Nihil tamen aeque oblectaucrit animum quam amicitia fidelis et dulcis. Quantum bonum est, ubi praeparata sunt pectora in quae tuto secretum omne descendat, quorum conscientiam minus quam tuam timeas, quorum sermo sollicitudinem leniat, sententia consilium expediat, hilaritas tristitiam dissipet, conspectus ipse delectet! Quos scilicet uacuos, quantum fieri poterit, a cupiditatibus eligemus.

"على أية حال لا شئ يجلب إلى النفس بهجة من صداقة مخلصة وعذبة. أن الخير العظيم يكمن هناك حيث القلوب مستعدة لاحتواء كل سر بأمان، والتى بمعرفة خصوصيتك، عليك أنت أن تكون أقل خشية، وحديثها الودود يزيل الملل، ورأيها يجعل اتخاذ القرار سهلا، ومرحها يمحو التعاسة، والتى رؤيتها نفسها تصنع البهجة! وبالتأكيد سنختار هؤلاء الأحرار برغبة قوية، بقدر ما يمكن."(١)

هكذا كانت الصداقة التى أراد الفيلسوف تثبيتها وترسيخ مفهومها، وهى أيضا التى ربطته بعلاقة قوية مع صديقه "سيرينوس" الذى خصص له عملين من أعماله: عن "صمود الحكيم"، والأخر هو العمل المشار إليه فى هذه الورقة عن "السكينة الروحية".

حث سينيكا صديقه "سيرينوس" لاعتناق المذهب الرواقى وترك المذهب الإبيقورى، وسانده مساندة تامة فى اتخاذ هذا القرار.(٢) على المستوى السياسى "سيرينوس" فى أيام نيرون الأولى كان قائدا لشرطة المدينة(٣) (praefectus vigilum)، ومن ثم كان يمثل السلطة العسكرية الثانية فى مدينة روما بعد رئيس الحرس الإمبراطورى "أفرانوس بوروس".(٤)

(1) Seneca, De tranquillitate animi, 7, 1.

(٢) عن مفاهيم سينيكا الفلسفية، أنظر هذه الدراسة الجادة:

Rosati G., Seneca sulla lettera filosofica. Un genere letterario nel cammino verso la saggezza, in "Maia" 1, (1981).

(٣) يشير هذا المرجع إلى تولى "سيرينوس" منصب رئيس شرطة مدينة روما فى عهد نيرون، راجع:

Griffin M. T., Seneca: A philosopher in politics, Oxford, (1976), p. 447.

(٤) عن شخصية قائد الحرس الإمبراطورى أنظر:

MacDermott W.C., Sextus Afranius Burrus, Latomus 8, 1948.

التجارب الحياتية التى عاشها "سيرينوس" أهلته جيدا لصداقة سينيكا، حيث كان يضمهما تعاون مشترك من أجل تسهيل رغبات نيرون العاطفية، بالإضافة إلى أن "سيرينوس" كان متزوجا من "أوكتافيا" ابنة الإمبراطور كلاوديوس. ومن ثم صاغت هذه التجارب والخبرات الحياتية شخصية "سيرينوس" بشكل جيد، وبالتالى نستطيع فهم دوافع النصائح التى وجهها الفيلسوف إلي صديقه "سيرينوس" فى اختيار الأصدقاء، ونذكر من بينها: البحث عن هؤلاء الذين هم أقل فسادا quam" minime inquinatos" وعلينا أن لا نفكر فى إيجاد صديق حكيم، ففى المرتبة الأولى يبقى من هو أقل سوء من الجميع:

> Itaque, ut in pestilentia curandum est ne correptis iam corporibus et morbo flagrantibus assideamus, quia pericula trahemus afflatuque ipso laborabimus, ita in amicorum legendis ingeniis dabimus operam ut quam minime inquinatos assumamus: initium morbi est aegris sana miscere.
>
> "إذن، ينبغى أن تهرب، كما فى (حالة) مرض الطاعون، ولا نجلس بجانب الذى لحق به الأذى سابقا، ولا الذى أُلتهم من الشر، لأنه سيجرنا إلى الخطر، وزفيره ذاته سيصيبنا بالمرض، ومن ثم علينا فى اختيار الأصدقاء أن نعمل على اختيار هؤلاء الأقل تلوثا بقدر المستطاع: إن بداية الأمراض تكون فى اختلاط الأصحاء بالمرضى".(١)

الصداقة كما نرى فى شكل مجسم حقيقى جدا لا تبدو علي الإطلاق مثالية، حيث أن جودتها الفعلية والعظيمة يجب أن تكون قائمة على قاعدة ثابتة تتمثل فى الإخلاص، والمقدرة على الاحتفاظ بالأسرار، وأيضا علي دعم وتزويد الصديق بالنصائح الحكيمة التى من شأنها دفعه نحو الرقى، وأيضا مؤازرته والتسرية عنه وربط جأشه فى حالة الكرب والهم، ومن دواعى السرور رؤية الصديق لصديقه، وهذا فى حد ذاته طريقة جيدة تبعث علي الراحة والبهجة، ويضيف سينيكا بشكل خاص جدا ميزة أخرى من ميزات الصداقة، وهذه الميزة الواقعية يحددها الفيلسوف فى تجنب اختيار

(1) Seneca, De tranquillitate animi, 7, 2.

الأصدقاء المتجهمين المنقبضين، وهؤلاء الذين لا يحسنون صنع شئ وكل شئ عندهم يعتبرونه جيد، ويرون فى كل شئ أسبابا للتأوه والتحسر:

Praecipue tamen uitentur tristes et omnia deplorantes, quibus nulla non causa in querellas placet. Constet illi licet fides et beneuolentia, tranquillitati tamen inimicus est comes perturbatus et omnia gemens.

"علي أية حال، فليتجنبوا على وجه الخصوص هؤلاء المتجهمين والمتذمرين من الجميع، وهؤلاء الذين من لا شئ وبلا داعى يتوجعون. ويسمح بأولئك الذين عندهم إخلاص ومحبة مؤكدة، مع أن عدو السكينة يكون رفيق مضطرب ويتأوه من كل شئ".(١)

لم يمضى وقتا طويلا بعد كتابة سينيكا لعمله "السكينة الروحية" حتى حصد الموت فجأة روح صديقه "سيرينوس" الذى كان مخصص له العمل، وكان موته مأسوى حقا، حيث أن جميع الذين شاركوا فى وليمة ومن بينهم وكلاء الشعب العسكريين، وقواد الفرق الرومانية الشهيرة، وكذلك "سيرينوس" نفسه، قد ماتوا جميعا بتسمم نتج عن أكلهم وجبة مكونة من (عيش الغراب)، وردت هذه الحادثة عند "بلينيوس الأكبر:

……. venenis accommodatissimi. familias nuper interemere et tota convivia, Annaeum Serenum, praefectum Neronis vigilum, et tribunos centurionesque.

".... بسموم ملائمة جدا، قتل منذ قليل أباء أسر وجميع من كانوا يأكلون معهم، وأنيوس سيرينوس رئيس شرطة المدينة فى عهد نيرون، ووكلاء الشعب وقواد الفرق الرومانية".(٢)

الموت الفجائى الذى أنهى حياة "سيرينوس" سبب لسينيكا ألم عميق جدا، فاق كثيرا كل مبادئ التعليم الرواقى فى كيفية تحمل الآلام، ويخبرنا الفيلسوف نفسه عن هذا الألم فى نص رسالته

(1) Seneca, De tranquillitate animi, 7, 4.

(2) Plin., Nat. Hist., 22, 96.

(٦٣) المرسلة مباشرة إلى صديقه "لوكيليوس" من أجل تعزيته ومواساته فى موت صديق له. بعد أن ضمن سينيكا رسالته بالعديد من الموضوعات الفلسفية الملائمة فى تخفيف الألم وإيقافه والسيطرة عليه، ينقل الفيلسوف صورة من صفحته الذاتية وتجربته الشخصية فى تحمل الألم عند فقدان عزيز مختتما بهذه الصورة رسالته:

[14] Haec tibi scribo, is qui Annaeum Serenum carissimum mihi tam immodice flevi ut, quod minime velim, inter exempla sim eorum quos dolor vicit. Hodie tamen factum meum damno et intellego maximam mihi causam sic lugendi fuisse quod numquam cogitaveram mori eum ante me posse. Hoc unum mihi occurrebat, minorem esse et multo minorem - tamquam ordinem fata servarent! [15] Itaque assidue cogitemus de nostra quam omnium quos diligimus mortalitate. Tunc ego debui dicere, 'minor est Serenus meus: quid ad rem pertinet? post me mori debet, sed ante me potest'. Quia non feci, imparatum subito fortuna percussit. Nunc cogito omnia et mortalia esse et incerta lege mortalia; hodie fieri potest quidquid umquam potest. [16] Cogitemus ergo, Lucili carissime, cito nos eo perventuros quo illum pervenisse maeremus; et fortasse, si modo vera sapientium fama est recipitque nos locus aliquis, quem putamus perisse praemissus est. Vale.

"(١٤) أكتب إليك هذه الأشياء، وأنا حقا الذى بكيت صديقى العزيز جدا "أننيوس سيرينوس"، وهكذا بدون رباطة جأش (تماسك) على الرغم من نفسى. وأننى مصنف من بين أمثلة الرجال المقهورين من الألم، لكن اليوم أُدين سلوكى وأفهم: لم أكن أبدا أفكر فى إمكانية أن يموت قبلى، وهذا هو السبب الجوهرى لبكائى هذا المبالغ فيه، كان هذا فقط أمام عينى: أنه كان أكثر شبابا، أكثر شبابا منى، وكيف يحترم القدر ترتيب الشيخوخة! (١٥) لذلك فلنفكر دائما أننا نحن، وأيضا جميع أعزائنا، كلنا ميتون. ومن ثم وددتُ أن أقول: "سيرينوس عزيزى أكثر شبابا منى، وما يهم؟ كان يجب أن يموت بعدى، لكن يمكن أيضا أن يموت قبلى" لأنه لم يحدث لى والكارثة حطت فجأة

على بدون أن أتوقعها. الآن أفكر أن الجميع ميتون، وأن فلان ما لا يطيع القانون المحكم: فمن الممكن أن يحدث اليوم ذلك الذى يمكن أن يحدث فى أى يوم. (١٦) نتأمل هذا، عزيزى الغالي لوكيليوس: سيصيبنا الدور سريعا للوصول هناك حيث وصل هو سابقا و نحن هناك لا نحزن، و ربما لو الحكماء يقولون الحقيقة: بأنه يوجد مكان يضمنا جميعا، فالصديق بالنسبة لنا مفقود و عنده لنا فقط وصايا، أبقى على الخير".[١]

ظلت صداقة سينيكا مع سيرينوس تُذكر فى روما بعد موتهما كمثال على الصداقة المثالية، فعندما كان يتحدث صديق ما عن سينيكا كان يستشهد بتلك الصداقة التى بين الفيلسوف وسيرينوس، وقد جاء ذكر ذلك عند مارتيال:

Facundi Senecae potens amicus, Caro proximus aut prior Sereno,
"صديق كفئ لسينيكا الفصيح، (ماسيموس) العزيز مثل سيرينوس من قبل."[٢]

يشير مارتيال هنا إلي صداقة سينيكا مع تلك الشخصية الشيقة "كيزينيوس ماسيموس" والتى لم تكن أقل حيوية من صداقة سينيكا مع سيرينوس، وقد أشار أيضا تاكيتوس فى حولياته إلى هذه الصداقة، كما ذكر أن ماسيموس بعد مؤامرة فى البلاط الإمبراطورىُ شرد من إيطاليا ربما إلى الجنوب فى صقلية.[٣]

نترك الآن "سيرينوس" ونمضي لتحليل صداقة شخصية أخرى لا تقل أهمية بالنسبة للفيلسوف عن السابقة، وقد خصص لها سينيكا جُل أعماله إنه صديقه "لوكيليوس"، كان "لوكيليوس" مثل "سيرينوس" أصغر من سينيكا(الرسالة):

Iuvenior es: quid refert? non dinumerantur anni.
" أنت أكثر شبابا منى: ماذا يهم؟ الأعوام لا تعد".[٤]

---

(1) Seneca, Letterae morali di Lucili, 63. 14-16.

(2) Martial, Epigrammi, VII, 45,1-2.

(3) Tac., Annales 15. 71, 5.

(4) Seneca, Ep., 26, 7.

لكن فى الفترة التى كُتبت فيها الرسائل كان "لوكيليوس" قد أصبح شيخا هو الأخر:

incipiamus vasa in senectute colligere.
"(الآن نحن) فى مرحلة الشيخوخة لنبدأ في إعداد المتاع".(١)

ومن المصادفات أنه كان أيضا مثل "سيرينوس" يتبع المذهب الإبيقورى فى الفلسفة، وقد ساعده سينيكا هو الأخر فى الانتقال إلى المذهب الرواقى.

لم يكن "لوكيليوس" بالرجل الخامل بل كان أديب جيد يكتب الشعر، وقد قطع شوطا فى سبيل مستقبله بانتماءاته إلى النظام الفروسي. ففى الوقت الذى كتب فيه سينيكا الرسائل الموجهة إليه كان حينئذ وكيل إمبراطورى فى صقلية. (٢)

لا نعرف كيف ولدت الصداقة بين سينيكا و"لوكيليوس"، لكن بما أن سينيكا فى مقدمة الكتاب الرابع من عمله عن "المسائل الطبيعية" يذكر أن "لوكيليوس" قد حاول كسب صداقة "جاللیونوس" أخو سينيكا (لكنه لجأ إلى المداهنة، لذلك وبخه جاللیونوس):

> Solebam tibi dicere Gallionem si, fratrem meum, quem nemo non parum amat, etiam qui amare plus non potest, alia uitia non nosse, hoc eum odisse. Ab omni illum parte temptasti: ingenium suspicere coepisti omnium maximum et dignissimum, quod consecrari mallet quam conteri: pedes abstulit; frugalitatem laudare coepisti, quae sic a nostris moribus resiluit, ut illos nec habere nec damnare uideatur: prima statim uerba praecidit;
>
> " كنت عادة أقول لك أن أخى "جاللیونوس" يحبه الجميع قليلا . حتى هؤلاء الذى لا يمكنهم حبه أكثر . الرذائل الأخرى لا يعرفها، هذا يكرهه. أنت حاولت اختراقه بكل الطرق: بدأت بالإعجاب بعبقريته، أعظم الجميع

(1) Seneca, Ep., 19, 1.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن سيرة لوكيليوس الذاتية أنظر:
Lana I., Analisi delle “lettere a Lucilio” di Seneca, cit., pp.45,49.

والأكثر احتراما الذى يجب أن يخلد من أن ينتهك؛ لقد طرحه (أى التملق)، بدأت فى مدح تعففه، و قد احتفظ بمسافة عن عاداتنا، هكذا حتى لا يبدو لا مشاركا و لا مدينا: إنك مُنعت على التو مع الكلمات الأولى.(١)

وبناء عليه يمكنا أن نفترض سعى "لوكيليوس" نفسه إلى اتخاذ الخطوة الأولى نحو الصداقة مع سينيكا. على الجانب الأخر نستطيع القول بأن سينيكا كان صاحب المبادرة فى تعهده بمهمة تشكيل وبناء شخصية "لوكيليوس"، ونستدل على ذلك من الرسالة (٣٤) حيث نرى رضا سينيكا عن النتائج التى توصلا إليها في لحظة ما خلال صلتهما:

Assero te mihi; meum opus es. Ego cum vidissem indolem tuam, inieci manum, exhortatus sum, addidi stimulos nec lente ire passus sum sed subinde incitavi; et nunc idem facio, sed iam currentem hortor et invicem hortantem.

"أنا أدعوك إلى، أنت صنعى. عندما فهمت شخصيتك: أني ألقيت الأيدى عليك (أى كرست لك الاهتمام لإبراز شخصيتك)، قد نصحتك، وأعطيتك الدافع ولم أتركك لكى تتحرك ببطء، لكن كنت أشجعك باستمرار، وسأستمر فى فعل هذا، وأحثك، لكنك على أية حال تتقدم سريعا، وبدورك تشجعنى".(٢)

من الأشياء التى جذبت سينيكا إلي صداقة لوكيليوس استحسانه لفضيلة الإخلاص والأمانة التى كان يتحلى بها لوكيليوس وبرع فيها بامتياز، ونلاحظ تلك الصورة الأدبية التى رسمها الفيلسوف عن الصديق فى عمله عن "المسائل الطبيعية"، وقد وضعها على لسان لوكيليوس نفسه كمثال للمزايا العديدة التى يتحلى بها الصديق:

Non mihi muliebres fluxere lacrimae; non e manibus ullius supplex pependi; nihil indecorum nec bono nec uiro feci. Periculis meis maior, paratus ire in ea quae

(1) Seneca, Naturales Quaestiones,IV, 10

(2) Seneca, Ep. 34, 2.

minabantur, egi gratias fortunae, quod experiri uoluisset quanti aestimarem fidem (non debebat mihi paruo res tanta constare); ne examinaui quidem diu (neque enim paria pendebant), utrum satius esset me perire pro fide an fidem pro me;

"لم أسكب الدموع كامرأة؛ لم أتضرع أطلاقا رافعا يدى لأحد؛ لم أفعل أبدا شيئا مهين لرجل جيد ولرجل حقيقى، متفوقا على مخاطرى، مستعدا لمجابهة أى تهديد، أننى أشكر القدر لأنه أراد أن يضعنى فى التجربة، من أجل رؤية القيمة التى يمكن أن أساهم بها فى الأمانة (لا يجب أن يكلفنى قليل من خير هكذا كبير). لم أُختبر طويلا (قيمهم حقا ليست ملتبسة) إذ من الأفضل أن أموت أنا من أجل إنقاذ الأمانة أو حتى تأتى ناقصة (أنها أفضل) من إنقاى".(١)

إذن صفة الأمانة والإخلاص ميزت بشكل قوى وثابت شخصية الصديق لوكيليوس، وأخذت هذه الصفات مكانة مرموقة فى بؤرة اهتمام سينيكا وأيضا صديقه، وإنها فضيلة أينعت جيدا بداخل لوكيليوس حتى أصبح متميز بها ومتمرس عليها بين أصدقاءه، وقد برهن على إخلاصه من خلال تجارب حياتية عديدة صادفته فى عهد الأباطرة كاليجولا وكلاوديوس، وقد اجتاز مناورات خطيرة ربما كلفته حياته من أجل أن يظل مخلصا للأصدقاء.

ومن الأمثلة البارزة التى تبرهن على صدق وقوة الصداقة التى تربط سينيكا بصديقه لوكيليوس نلاحظ هذا الشعور الصادق فى حديث سينيكا عندما طلب لوكيليوس بعض الكتب التى لم يجدها فى جزيرة صقلية حيث كان يقيم هناك كنائب عن الإمبراطور، ويأتى رد سينيكا سريعا وبدون تردد مبيناً تلبية طلبه واستعداده لإرسال الكتب لصديقه، بل استعداده للذهاب هو نفسه إلى صقلية لكى

(1) Seneca, Naturales Quaestiones,IV,16.

يبرهن على صدق مشاعره نحو صديقه لوكيليوس. ويؤكد سينيكا استعداده لعبور مضيق "ميسينا"[١] عوما من أجل مصلحة الصديق والحرص على تقدمه ورقيه:

> 'Vellem' inquis'<non> magis consilium mihi quam libros dares.' Ego vero quoscumque habeo mittere paratus sum et totum horreum excutere; me quoque isto, si possem, transferrem, et nisi mature te finem officii sperarem impetraturum, hanc senilem expeditionem indixissem mihi nec me Charybdis et Scylla et fabulosum istud fretum deterrere potuissent.Tranassem ista, non solum traiecissem, dummodo te complecti possem et praesens aestimare quantum animo crevisses.
>
> "أود أن لا تقول لى نصائح أكثر عن الكتب، أنا من جانبى مستعد حقا أن أرسل لك ما أملك، ولا أستثنى منها شيئا حتى نفاذ كل المخزون، بل لو أمكن أن أنتقل بنفسى إلى حيث تكون، إذ لم تأمل أن تبلغ مبكرا نهاية مهمتك، فأننى سأعد نفسى لهذا النوع من الإرسال المناسب لسن الشيخوخة، ولو أستطيع أن أصون نفسى لعبرته عوما (مضيق ميسينا)، ولم أجتازه وحيدا بمركب، و (لا يعوقنى) كاربيديس،[٢] ولا سكيللا،[٣] ولا هذا المضيق الأسطورى، من أجل معانقتك، ولأتمكن من التقييم شخصيا كم بلغ عقلك من إدراك الأشياء العظيمة".[٤]

---

(١) مضيق ميسينا هو ذلك الجزء من البحر الذى يفصل صقلية عن إيطاليا، ويبلغ عرضه ٦ كيلو متر وطوله ٣٢ كيلو متر تقريبا

(٢) دوامة ماء كان يخشاها البحارة، وتوجد علي الجانب الأيمن فى مضيق ميسينا الذى كان يعتبر مضيق أسطورى لصعوبة الإبحار فيه.

(٣) صخرة مرتفعة خطرة بالنسبة للبحارة و توجد في مدخل مضيق ميسينا.

(4) Seneca, Ep. 45, 2.

ويلاحظ أن سينيكا فى نفس الرسالة يوصى صديقه بقراءة كتبه، وذلك لحرصه على مصلحته وتقدمه، وهذا مثال أخر جيد على الصداقة المثالية التى تندرج تحت لواء الفضيلة، وتعد من العقيدة الأخلاقية للفيلسوف:(١)

> Sed qualescumque sunt, tu illos sic lege tamquam verum quaeram adhuc, non sciam, et contumaciter quaeram. Non enim me cuiquam emancipavi, nullius nomen fero; multum magnorum virorum iudicio credo, aliquid et meo vindico. Nam illi quoque non inventa sed quaerenda nobis reliquerunt, et invenissent forsitan necessaria nisi et supervacua quaesissent.
>
> " لكن أى يكونوا، أنت تقرأ هم واضعا فى الحسبان أننى لازلت أبحث عن الحقيقة: ولم أحصل عليها وابحث عنها بإصرار. أنا لم أصير عبدا لأحد، ولا أحمل اسم (شعار) أحد، أُقدر رأى كثير من الرجال العظام، لكننى أطالب بحق ما أيضا لفكرى. هم أنفسهم تركوا لنا حقيقة لم تكتشف بعد، (واجبة) البحث، وربما وجدوا الشروح الضرورية، إذ لم يبحثوا أيضا تلك الأشياء الزائدة".(٢)

هناك أصدقاء آخرون كُثر للفيلسوف قد وردت إشارات ثابتة إليهم في أعماله، لكن لا توجد معرفة دقيقة تسمح لنا بعرض وتحليل علاقتهم مع سينيكا، لذلك نحدد أنفسنا فى عرض و تحليل بعض الأمثلة، وخاصة تلك المعروفة لنا جميعا من خلال الرسائل التى كتبها سينيكا إلى لوكيليوس، باستثناء تلك الإشارات التى جاءت عن "باولينوس" و "ابوزيوس" اللذين ورد ذكرهم فى محاورة "فى قصر الحياة"، ومحاورة "فى أفعال الخير"، يأتى من بين هؤلاء الأصدقاء "أوفيديوس باسوس" المؤرخ الذى عاش الأيام الأخيرة من حياته فى انتظار الموت بشجاعة فائقة:

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن عقيدة سينيكا الأخلاقية، أنظر:

Marchesi C., La dottrina morale di Seneca, Laterza, Roma-Bari, 1980.

(2) Seneca, Ep. 45, 4.

Bassum Aufidium, virum optimum, vidi quassum, aetati obluctantem ……. Bassus tamen noster alacer animo est: hoc philosophia praestat, in conspectu mortis hilarem <esse> et in quocumque corporis habitu fortem laetumque nec deficientem quamvis deficiatur…… Fateor ergo ad hominem mihi carum ex pluribus me causis frequentius venisse,

"رأيت "أوفيديوس باسوس" رجل عظيم جدا، كان يحارب من أجل الحياة ..... ومع ذلك رجلنا "باسوس" يمتلك روحا مليئة بالحياة وهذا يعطيك الفلسفة (الحكمة)، كن هادئ أمام الموت وقويا، وحتما سعيد مستقلا عن الحالات الجسمانية ..... أعترف أنني كنت أخالط هذا الرجل وأنه عزيز لدى لأسباب عديدة جداً".(١)

جاء أيضا ذكر "كلارانوس" رفيق سينيكا وتلميذه المسن، الذى بعد طول بُعاد أمضيا سويا بعض الأيام يتناقشان فى الأمور الفلسفية الهامة التى ذكرها الفيلسوف للوكيليوس فى الرسالة السادسة والستين:

Claranum condiscipulum meum vidi post multos annos: non, puto, exspectas ut adiciam senem, sed mehercules viridem animo ac vigentem et cum corpusculo suo colluctantem .....…… Quamvis autem paucissimos una fecerimus dies, tamen multi nobis sermones fuerunt, quos subinde egeram et ad te permittam.

"رأيت بعد أعوام كثيرة "كلارانوس" رفيقى فى الدراسة: مسن، من العبث اللحاق به، لكنه ملئ بالطاقة و يقظ الروح وفى معركة دائمة مع جسده الهاش ..... قد أمضينا سويا أيام قليلة جدا، ومع ذلك تحدثنا فى موضوعات كثيرة: رويدا (بالتدريج) سأنسخها من أجل إرسالها".(٢)

(1) Seneca, Ep. 30. 1, 3, 13.

(2) Seneca, Ep., 66. 1,4.

ومن بين الأصدقاء الذين ورد ذكرهم فى رسائل سينيكا إلي لوكيليوس يأتى "ماركيللينوس" الذى كان دائم التردد على الفيلسوف، رغم انه كان رافضا تماما لتعاليمه، وذكره سينيكا فى الرسالة التاسعة والعشرين بعد سؤال لوكيليوس عن أخباره:

De Marcellino nostro quaeris et vis scire quid agat. Raro ad nos venit, non ulla alia ex causa quam quod audire verum timet, a quo periculo iam abest; nulli enim nisi audituro dicendum est ..... Marcellinum nostrum ego nondum despero; etiam nunc servari potest, sed si cito illi manus porrigitur.

"تسألنى أخبار صديقنا "ماركيلليوس" وتريد أن تعرف ما يفعل. نادرا ما يأتى لزيارتى، بشكل منفرد لأنه يخشى أن يسمع قول الحقيقة، لذا لا يندفع نحو هذا الخطر، الحقيقة يجب قولها فقط لمن يكون مستعدا لسماعها..... لم أيأس بعد من صديقنا "ماركيلليوس"، الآن أيضا يمكن إنقاذه، لأنه يبسط يده فوراً".(١)

ونجد أيضا من بين أصدقاء سينيكا "ماروللوس" الذى كتب له الفيلسوف رسالة عزاء يواسيه فيها لفقدانه ابنا له وهو طفلا صغير، وقد جاء ذكره فى الرسالة التاسعة والتسعين:

Epistulam quam scripsi Marullo cum filium parvulum amisisset et diceretur molliter ferre misi tibi, in qua non sum solitum morem secutus nec putavi leniter illum debere tractari, cum obiurgatione esset quam solacio dignior.

"أرسل إليك الرسالة التى كتبتها إلى "ماروللوس": إنه فقد ابنا لازال صغيرا، ويقولون إنه يتصرف بضعف: وفى الرسالة لم أفعل مثلما يحدث عادة (فى مثل هذه المناسبات) ولم أضع فى الحسبان إنه يجب أن أعامله بلطف: فهو يستحق التوبيخ أكثر من المواساة".(٢)

(1) Seneca, Ep., 29. 1,4.

(2) Seneca, Ep., 99. 1.

من الجدير بالذكر أن سينيكا يوثق لمفهوم الصداقة،[١] ويشير إلي الفلسفة الإبيقورية فى تعرضه لهذا التوثيق، حيث يخاطب لوكيليوس فى الرسالة (٤٨) مبينا ماهية الصداقة وما يجب أن يكون عليه الصديق تجاه الآخرين:

> Iterum ego tamquam Epicureus loquor? mihi vero idem expedit quod tibi: aut non sum amicus, nisi quidquid agitur ad te pertinens meum est. Consortium rerum omnium inter nos facit amicitia; nec secundi quicquam singulis est nec adversi; in commune vivitur. Nec potest quisquam beate degere qui se tantum intuetur, qui omnia ad utilitates suas convertit: alteri vivas oportet, si vis tibi vivere. Haec societas diligenter et sancte observata, quae nos homines hominibus miscet et iudicat aliquod esse commune ius generis humani, plurimum ad illam quoque de qua loquebar interiorem societatem amicitiae colendam proficit; omnia enim cum amico communia habebit qui multa cum homine.
>
> Hoc, Lucili virorum optime, mihi ab istis subtilibus praecipi malo, quid amico praestare debeam, quid homini, quam quot modis 'amicus' dicatur, et 'homo' quam multa significet. In diversum ecce sapientia et stultitia discedunt! cui accedo? in utram ire partem iubes? Illi homo pro amico est, huic amicus non est pro homine; ille amicum sibi parat, hic se amico: tu mihi verba distorques et syllabas digeris.

"هل أتحدث مرة أخرى مثل أبيقور؟ فى الحقيقة يمسنى كل شئ يمسسك، ولن أكون صديق لو كل ذلك الذى يتعلق بك لم يكن متعلق بى أيضا. الصداقة تضع كل شئ على المشاع بيننا، ليس هناك حالة ما ممنوعة (محرمة) أو معاكسة تخص واحد منا فقط، نحن نعيش مقتسمين كل شئ، لا أحد يمكنه أن يعيش سعيد إذا أخذ الحيطة لنفسه فقط، وإذا حول كل شئ لمصلحته هو فقط: يجب أن تعيش من أجل القريب إذا أردت العيش من أجل

(١) عن مفهوم الصداقة فى رسائل سينيكا تحديداً، أنظر: المرجع التالى:

Gagliardi P., Un legame per vivere(Sul concetto di amicizia nelle Lettere di Seneca), Galatina, (Lecce), (1991).

نفسك. هذا الرباط موثق بدقة ومعرفة، فهو الذى يوحد بين الرجال بعضهم البعض، و يبين وجود قانون عام متعلق بالجنس البشرى، ويستخدم أيضا بكثرة من أجل زراعة العشرة الداخلية التى أتحدث عنها: "الصداقة". لو أن فردا ما كان منفتحا على القريب، سيكون منفتحا في كل شئ مع الصديق. أُفضل، صديقي الرائع لوكيليوس، أن هذه الموضوعات الشائكة لو أعلمها لك، ويجب أن أمتلكها نحو صديق ونحو الرجال، بل إن هناك طرق كثيرة يمكن أن تقال بها كلمة "صديق" وفى معانى كثيرة يمكن أن تأتى كلمة "رجل". إن الحكمة والبلاهة يذهبا فى اتجاهين متضادين! أيهما يجب أن أتبع؟ إلى أى جهة تنصحنى أن أذهب؟ بالنسبة للحكيم: رجل يعنى صديق، وبالنسبة للأبله صديق لا يعنى حتى رجل،[١] الأول يفوض نفسه للصديق، والأخر يقدم نفسه للصديق: (أحذر) أن تشوه لى الكلمات وتقسمها إلى مقاطع".[٢]

يذكر سينيكا أصدقاءه الآخرين دائما فى رسائله، ولكن بإشارات مبعثرة بدون أن يذكر الأسماء، ففى الرسالة (٢٥) يشير إلى صديقين لا يتمكنا من استعاب تعاليم الفيلسوف، لكنه يصر على أن يستوعبا ولم يفقد الأمل فيستمر فى تشجيعهما و تحسين فهمهما:

> Quod ad duos amicos nostros pertinet, diversa via eundum est; alterius enim vitia emendanda, alterius frangenda sunt. Utar libertate tota: non amo illum nisi offendo. 'Quid ergo?' inquis 'quadragenarium pupillum cogitas sub tutela tua continere? Respice aetatem eius iam duram et intractabilem: non potest reformari; tenera finguntur.'

---

(١) فكرة الرجل شغلت بال سينيكا كثيرا، لذلك حاول فى مواضع كثيرة من كتاباته أن يوثق ويؤصل للمفهوم الذى يحدد هذه الفكرة وما يجب أن يكون عليه الرجل حقا، لمعرفة المزيد، أنظر:

Uscatescu G., Seneca e l'idea dell'uomo in "problemi della pedagogia", Luglio-agosto, (1965).

(2) Seneca, Ep., 48. 2-4.

"فيما يتعلق بصديقينا، يجب إتباع طريق مختلف: تصحيح رذائل أحدهما تقطع تلك التي للأخر، كن صريح جدا، إننى لا أريد لك الخير إذ لم تتعامل بحدة، تقول "كيف؟" هل تفكر أن تجعل تحت رعايتك قاصر عمره أربعين عام؟ يضع سنه فى الاعتبار: إنه على أى حال متيبس ولا يمكن ترويضه: لا تستطيع تغيره، المواد الطيعة فقط هى التى تصاغ".(١)

وهناك إشارة عند تاكيتوس إلي رجلين لم يذكر أسماءهما أمضيا مع سينيكا اليوم الأخير من حياته مشجعين له وشادين من أذره، ويضع تاكيتوس في هذه الفقرة أيضا شهادة سينيكا الأخيرة عن ماهية صداقته التى تركها كمثال يحتذى به ونموذج جيد للصداقة الطاهرة التى لا تشوبها شائبة:

Ille interritus poscit testamenti tabulas; ac denegante centurione conversus ad amicos, quando meritis eorum referre gratiam prohoberetur, quod unum iam et tamen pulcherrimum habeat, imaginem vitae suae relinquere testatur, cuius si memores essent, bonarum artium famam tam constantis amicitiae [pretium] laturos. simul lacrimas eorum modo sermone, modo intentior in modum coercentis ad firmitudinem revocat, rogitans ubi praecepta sapientiae, ubi tot per annos meditata ratio adversum imminentia?

"بدون انزعاج يطلب سينيكا موائد الوصية؛ أمام رفض قائد الفرق، ومتوجها للأصدقاء، يعترف أن: حيث أنه ممنوع من أن يظهر لهم عرفانه كما يستحقون، فقد ترك لهم الثروة الوحيدة التى يمتلكها، وإنها أيضا أكثر الأشياء جمالا: صورة حياتى الخاصة، والتى (تمنيت) لو تحفظونها كتذكار، ربما بلغ المجد السلوك الأمين والصداقة غير الملوثة. وفى نفس الوقت يحبس دموعهم تارة بالكلمات وتارة أخرى بطاقة عظيمة فى صوت مطاع

(1) Seneca, Ep. 25, 1.

يدعيهم إلى الثبات، ويسألهم أين ذهبت تعاليم الفلسفة، وأين معرفة الحق التى ظللنا ننقيها سنوات كثيرة ضد الشرور الداهمة؟".(١)

والأصدقاء المشار إليهم فى الفقرة السابقة هم هؤلاء الذين لم يمكنهم أن يتركوا دليل أو أثر، لأن نيرون منعهم من إعادة فتح الوصية التى تركها سينيكا وبها الصورة التى كانت عليها حياته، ويصف تاكيتوس المشهد الأخير من حياة الفيلسوف فى حولياته مشيرا إلى الإشارة الأخيرة الممثلة فى رشة ماء من فم سينيكا، وكان العبيد هم الشئ الوحيد الذى ظل بجانبه وعلى أطراف شفتاه نداء: "هكذا جوبيتر المُخلص":

Seneca interim, durante tractu et lentitudine mortis, Statium Annaeum, diu sibi amicitiae fide et arte medicinae probatum, orat provisum pridem venenum, quo d[am]nati publico Atheniensium iudicio exstinguerentur, promeret; adlatumque hausit frustra, frigidus iam artus et cluso corpore adversum vim veneni. postremo stagnum calidae aquae introiit, respergens proximos servorum addita voce libare se liquorem illum Iovi liberatori. exim balneo inlatus et vapore eius exanimatus, sine ullo funeris sollemni crematur. ita codicillis praescripserat, cum etiam tum praedives et praepotens supremis suis consuleret.

"بينما سينيكا يقترب من الموت، وأثناء فترة الإرجاء يتوسل إلى أننيوس ستاتيوس، صديقه منذ زمن، ثقة ومتمرس فى فن الطب، أن يعطيه ذلك السم، الذي كان مجرب منذ زمن مع هؤلاء الذين كانوا يقومون بعملية الموت فى أثينا للأشخاص المدانين فى أحكام قضائية شعبية، فعندما يتجرع السم تصير الأعضاء باردة وينعدم فى الجسد الإحساس بفعل السم. فى اللحظة الأخيرة، يدخل في حوض مملوء بالماء الساخن، يرش منه على العبيد من حوله، ويضيف مع ذلك السائل على شفتاه لافظا تكريما لجوبيتر المُخلص. يُحمل فيما بعد إلى حمام ساخن جدا، هناك لفظ النفس الأخير بسب البخار، وتحرق جثته

(1) Tac. Ann. 15, 1-2.

بدون أي مراسم. هكذا كان قد أوصى سابقا فى وصيته عندما كان فى عظمته من سلطة وجاه، أنه كان يتجه بفكره إلى لحظة النهاية".(١)

الإشارة إلى العبيد فى هذه الفقرة ربما تعنى لسينيكا قيمة رمزية، حيث يبدو أن العبيد هم الرجال "رفقاء الحياة" رجال بسطاء، وهم رجال على كل الأحوال، بل وأصدقاء، ويظهر هذا المفهوم فى رسالته (٤٧):

Libenter ex iis qui a te veniunt cognovi familiariter te cum servis tuis vivere: hoc prudentiam tuam, hoc eruditionem decet. 'Servi sunt.' Immo homines. 'Servi sunt ' Immo contubernales. 'Servi sunt.' Immo humiles amici. 'Servi sunt.' Immo conservi, si cogitaveris tantundem in utrosque licere fortunae.

"سمعت بكل سرور عن أشخاص قادمين من سيراكوزا الذى يعاملون عبيدك بألفة: هذا السلوك يلائم حكمتك وتعليمك. "هم عبيد" لا، هم رجال. "هم عبيد" لا، إنهم يعيشون في بيتك نفسه. "هم عبيد" لا، إنهم أصدقاء بسطاء. "هم عبيد" لا، رفقاء عبودية، تدبر أن القدر يملك السلطة المتساوية علينا وعليهم".(٢)

من الملائم جدا أن نأتى إلى ذكر الفيلسوف الكلبى "ديميتريوس"(٣) الذى ورد ذكره فى خمسة من أعمال سينيكا: (العناية الإلهية، الحياة السعيدة، الأعمال الخيرة، المسائل الطبيعية، الرسائل الأخلاقية إلى لوكيليوس). وقد قدمه سينيكا على أنه رجل قوى جدا شديد التحمل متجرد من مفاتن الحياة:

(1) Tac. Ann. 15, 64, 3-4.

(2) Seneca, Ep., 47, 1.

(٣) ديمتيريوس الكلبى فليسوف معاصر لسينيكا كان محل إعجاب الأخير وتقديره، ويحتمل أن يكون مولده فى بداية القرن الأول الميلادى، ذاع صيته بسبب عقيدته الفلسفية القائمة على التجرد من المتع والحرص على الحياة الحرة وعمل الخيرات، وقد وردت أخباره فى أعمال سينيكا المشار إليها أعلاه، وأستشهد سينيكا بوصاياه الفلسفية فى كثير من الأمور الحياتية، وعرضها باستحسان كبير.

Hanc quoque animosam Demetri fortissimi viri vocem audisse me memini….

"أتذكر أننى سمعت أيضا هذا الحديث الشجاع من ديميتريوس الرجل القوى جدا: …. (١)

وفى موضع أخر يقدمه على أنه رجل فاضل(٢) egregius vir يملك معرفة وحكمة عظيمة، رغم أنه أول من ينكر هذا لتواضعه الشديد:

Paulo ante Demetrium retuli…….uirum exactae, licet neget ipse, sapientiae, firmaeque in his, quae proposuit, constantiae .....

"منذ قليل اقتبست (ديميتريوس) ..... رجل ذو حكمة كاملة (رغم أنه أول من ينكرها)، وذو ثبات لا يلين فى اقتراحاته .....". (٣)

ونجد أيضا إشارة قوية أوردها سينيكا في عمله "الرسائل الأخلاقية إلى لوكيليوس" حيث يصف ديمتيريوس بالرجل الأفضل بين الرجال:

Demetrium, virorum optimum, mecum circumfero et relictis conchyliatis cum illo seminudo loquor, illum admiror. Quidni admirer? vidi nihil ei deesse.....

"أنا دائما أُحضر معى ديمتيريوس الأفضل بين الرجال، وأترك جانبا العروض الكبيرة وأتحدث معه شبه عريان وأُعجب به. وكيف لا أُعجب به؟ أننى تحققت أنه لا ينقصه شئ ....". (٤)

نستطيع من خلال الفقرة السابقة فهم الصلة القوية التى ربطت سينيكا بالفيلسوف ديمتيريوس، ومدى إعجابه بطريقته والشفافية التى جمعتهما فى تناول الأحاديث الحميمة، لكن رغم هذا لا نستطيع الجزم إذا كانت هناك بين الرجلين صلة حقيقية وصداقة شخصية أو لا. الصفة التي كان

(1) Seneca, De providentia, V.5.

(2) Seneca, De beneficiis, VII, 2.

(3) Seneca, De beneficiis, VII, 8.

(4)Seneca, Ep. 62, 3

سينيكا معجب بها في ديمتيريوس بشكل عال جدا تتبلور في التماسك الشديد، حيث أن ديمتيريوس يمجد الفقر وحياة التقشف كما يذكر سينيكا فى عمله "عن الأفعال الخيرة" مبينا ومنتقدا فى حديث طويل ومؤثر حب الترف والفساد الذى انتشر بين معاصريه.(١)

كان ديميتريوس يعيش حقيقة فى حالة من الفقر، وقد غرس بداخله ذلك التماسك والترابط الذي أوجده بين الفكر والحياة، ويلاحظ أن هذه الخاصية كانت تنقص سينيكا الذى كان بدوره مدركا تماما لهذا النقص، وربما من أجل هذا السبب تحديدا أُعجب بديميتريوس واستحسنه.

إذن سلوك الفيلسوف تجاه الآخرين كان نابع من فكره وتعاليمه، وصداقاته كانت محكومة بإطار فكرى راقى صبه سينيكا فى مجموعة رسائله الأخلاقية التى أرسلها لصديقه لوكليليوس، فكانت بمثابة الوعاء الذهبى الذى حفظ فيه الفيلسوف تعاليمه وأسراره، وصارت منهج ومنهل هام للفلسفة الأخلاقية على مر العصور.

(1) Seneca, De beneficiis, VII, 9-10.

المصادر

- Caio Plinio Secondo (il Vecchio), Storia naturale, Vol. III-2 (Libri 20-27: Botanica), traduzioni e note di Andrea Aragosti, Paola Cosci, Anna Maria Cotrozzi, Marco Fantuzzi e Francesca Lechi, Giulio Einaudi Editore, Torino, 1985.
- Gummere R.M., Seneca, Morales Epistulae, The Loeb Classical Library, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, and William Heinemann LTD, Londaon, 1989.
- Lucio Anneo Seneca, Lettere a Lucilio, a cura di Balbino Giuliano, Zanichelli Editore, Bologna, 1974-80 (3 volumi)
- Lucio Anneo Seneca, Questioni Naturali, a cura di Dionigi Vottero, TEA (su licenza della U.T.E.T.), Milano, 1990.
- Lucio Anneo Seneca, Frammenti, a cura di Volttero D., Università di Torino pubblicazione del Dip. Di Filologia linguistica e tradizione classica, 10, Patron ed., Bologna 1998.
- Lucio Anneo Seneca, I Benefici, a cura di Salvatore Guglielmino, Zanichelli Editore, Bologna, 1971.
- Marco Tullio Cicerone, Catone Maggiore: Della Vecchiezza - Lelio Dell'Amicizia, a cura di Dario Arfelli, Zanichelli Editore, Bologna, 1972.
- Marco Valerio Marziale, Gli Epigrammi, a cura di Giuseppe Lipparini, Zanichelli Editore, Bologna, 1979.
- Publio Cornelio Tacito, Annali (Libri I-III; IV-VI e XI-XII; XIII-XVI), testo latino, introduzione, versione e note di Anna Resta Barrile, Zanichelli Editore, Bologna, 1973-74 (3 volumi)

المراجع

- Clark J.R., Motto A. L., "Seneca a amicizia", Atene e Roma 38, 1993, 91-98.
- D'Agostino V., Seneca e il tranquillitate animi, "Athenaeum" 17 , 1929, p.51-84.
- Fini M., Nerone. Duemila anni di calunnie, Milano,1993.
- Gagliardi P., Un legame per vivere(Sul concetto di amicizia nelle Lettere di Seneca), Galatina, (Lecce), 1991.
- Guerra Monica, Seneca e i giovani, Venosa, 1997.
- Impara P., Seneca: filosofia e potere, Roma, 1994.
- Lana I., Lucio Anneo Seneca, Torino.1955.
- Lana I., Analisi delle "lettere a Lucilio" di Seneca, Torino, 1988. pp. 193-199.
- Lotto G., Lucio Anneo Seneca. La tranquillità dell'animo, introduzione di G. L., traduzione e note di Lazzarini C., Milano, 1997.
- MacDermott W.C., Sextus Afranius Burrus, Latomus 8, 1948.
- Marchesi C., La dottrina morale di Seneca, Laterza, Roma-Bari, 1980.
- Paratore, E., L'epicureismo e la sua diffusione nel mondo latino, Roma, 1960.
- ----------, La problematica sull'epicureismo a Roma, in "Romanae Litterae", 1976, pp. 289-376.
- Parroni, P., Seneca e il suo tempo, Roma, Salerno Editrice, 2000.
- Pohlenz M., La Stoia di un movimento spirituale, trad. It., La Nuova Italia, Firenze 1967.
- Rosati G., Seneca sulla lettera filosofica. Un genere letterario nel cammino verso la saggezza, in "Maia" 1, 1981.
- Setaioli A., Seneca e la cultura, Napoli, 1991.
- Tremoli P., L'ultimo rapporto fra Seneca e Nerone, Udine, 1973.
- Uscatescu G., Seneca e l'idea dell'uomo in "problemi della pedagogia", Luglio-agosto, 1965.

أنور بهنسى محمد شاهين

كلية اللغات والترجمة

جامعة الأزهر

قسم اليونانى والإيطالى، مدرس، ت: ٠١٢٤٠٤٩٠٢